تدريس السياسة الخارجية في جامعة بغداد

أ.د احمد نوري النعيمي

أستاذ السياسية الخارجية/كلية العلوم السياسة/ جامعة بغداد

المقدمة

تعد مادة السياسة الخارجية من المواد الرئيسة في مفردات علم السياسة، لا سيما إذا عرفنا أنها تدرس في جامعات متقدمة بلغة سوسيومترية يطغى عليها نظرية التكامل والتفاضل في الرياضيات والإحصاء التي من شأنها محاولة الوصول الى بناء نظرية عامة في السياسة الخارجية. قد يبدو في البداية، أن منطق العلوم الرياضية هو منطق رمزي يتصادم مع المنطق السياسي القائم على قيم Values، ويفترض أحكاماً Judgement، وهي جميعها تتصادم مع خصائص التحليل الرياضي، لأن التطور المعاصر يجعل من أداة التحليل الرياضي عنصراً أساسياً من عناصر بناء النظرية السياسية. من هذا المنطلق، كانت هناك محاولات من بعض العلماء لخلق ما أسموه بالرياضة الإنسانية، وهي ترتبط بخصوص الظواهر التي لا تخضع بطبيعتها لعملية التمويل الكمي[1].

وهنا لا بد من الإشارة، من أن عملية بناء النموذج التي تتباين من عملية بناء النظرية Theory Building ، هي عملية عقلية تخضع للعلوم الرياضية في التحليل. ومن هنا تأتي أهميةاعتماد عملية البحث السياسي على الأساليب الرياضية، وفي هذا المجال يثار السؤال الآتي: أليست الأساليب الرياضية هي الدراسة المنطقية للعلاقات الرمزية ؟ من هذه العلاقة، بين التحليل السياسي، والمنطق الرياضي نستطيع أن نذهب إلى القول، أنه كيف أستطاع أسلوب التحليل السياسي استخدام أدوات التحليل إلتي كانت مصدرها العلوم الأخرى في بناء النظرية المنهاجية تحليل إحصائي في التمويل الكمي، تحليل نفسي في التحليل المعملي، تحليل رياضي في عملية التجريد الفكري والبناء الرمزي لنماذج التحليل[2]. ويدور مفهوم استخدام المنطق العلمي في السياسة الخارجية حول ثلاثة مفاهيم رئيسة [3]:

1- أمكانية التنبؤ برد الفعل، يليه بعد ذلك تقديم أنماذج للحركة.

---

(1) الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1967، ص49 .

(2) المصدر نفسه ، ص49 -50 .

(3) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1973 ، ص101 .

2- تصور نتائج الحركة السياسية وآثارها على المستوى الداخلي والأقليمي والدولي.

3- قياس الرأي العام لأكتشاف الأتجاهات الحقيقية بصدد أعداد قرار معين. والرأي العام هنا ينبغي أن يفهم على أنه يمثل الرأي العام الخارجي أو الإقليمي.

وفي هذا الشأن، ينبغي أن نؤكد، من أن استخدام المنهج العلمي بالمعنى الواسع لا يعدو أن يكون محاولة رفض مفهوم الانطباع في دلالته التقليدية، ووضع قواعد تسمح بالضبط الكمي والكيفي للانطباعات. وهنا يجب أن نميز بين التحليل الكمي والتحليل النوعي والتحليل الكيفي، إذ أن التحليل الكمي تغلب عليه فكرة التكرار، بمعنى آخر أن عدد المرات التي تساق فيها كلمة معينة أو حجة معينة أو رمز معين يمثل في ذاته الدلالة التي يجب أن نبحث عن اكتشافها التي تكفينا في التحليل، وراء هذا الأسلوب تستتر فكرة عامة وهي أن رقم التكرار يعني درجة معينة من الاهتمام، أو بتعبير آخر يعكس فكرة الأهمية. أما التحليل النوعي فأنه لا يقف عند ذلك، وإنما يسعى إلى اكتشاف ما هو أبعد من التكرار، أي ما هو أبعد من الاهتمام. التحليل النوعي يقدم تساؤلات حول وجود صفة معينة من عدمه، حيث أن الصفة تحدد النوع، وهكذا هو قد يتساءل هل الاهتمام هو بالتأييد أو بالمعارضة، بالقبول أم بالرفض. أما التحليل الكيفي فأنه يمثل خطوة نحو الأمام: التكرار لا يكفيه ولكن النوع أيضا لا يقنعه. أنه يريد أن يجيب عن السؤال كيف حدث الوصول إلى تلك الصفة؟ بعبارة أكثر دقة، فأنه يتابع الحقيقة الاتصالية كعملية تطور، ومن ثم يسعى إلى التعمق في حقيقة العملية النفسية إلتي تستتر وراء الكلمات والرموز[4] .

ولأهمية المنطق العلمي في دراسة السياسة الخارجية، بدأت تظهر في السنوات الأخيرة بما يسمى بمراكز التفوق في البحث السياسي. ويكفي أن نتذكر بهذا الخصوص الأبحاث التي تجرى بجامعة شيكاغو لحساب البنتاغون حول ظاهرة الذعر الجماعي كأحد الأساليب المكملة للسياسة الخارجية [5]. وبلغ الأمر بهذا التقدم والتخصص، أن بدأت الأساليب العلمية تغزو الدول الصغيرة أو على الأقل الدول غير الكبرى، فمراكز تحليل السياسة الخارجية اليوم منتشرة في جميع أنحاء العالم بما في ذلك دراسة السياسة الخارجية للدول غير الكبرى. فالهند بعد الصين تولي اهتماما كبيراً بهذه الأساليب. وينبغي في هذا المجال أن لا ننسى اهتمامات الكيان الصهيوني بتحليل السياسة الخارجية

---

(4) المصدر نفسه، ص 102 ، 127؛ ومارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة د. حسن نافعة، دار

المستقبل العربي، القاهرة، 1986، ص108 – 119.

(5) المصدر نفسه ، ص 101 .

لها[6]. ويمكننا أن نذهب إلى القول في هذا المجال، إذا كانت مادة العلاقات الدولية تعد من أفقر المواد في علم السياسة من حيث الاعتماد على لغة الرياضيات والإحصاء بسبب هيمنة الدراسات التاريخية والقانونية عليها، نرى أن مادة السياسة الخارجية تعد من أكثر مواد علم السياسة علمية بسبب العوامل السالفة الذكر. ومن الجدير بالذكر إن مادة السياسة الخارجية لم تدرس في الوطن العربي إلا في عشرينيات القرن الماضي كمادة مستقلة، فتارة كانت تدرس في إطار مادة العلاقات الدولية او مادة السياسة الدولية الا ان بعض الجامعات العربية بدأت تخطو خطوات جديدة كجامعة بغداد مثلاً – كلية العلوم السياسية – في تدريسها مادة مستقلة لها إطارها العام تدرس على مستوى الدراسات الأولية والدراسات العليا.

استحدث أستاذنا الدكتور فاضل زكي محمد، مادة السياسة الخارجية في عام 1968، وأضافها إلى مواد قسم العلوم السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فضلا عن قيامه بتدريسها، وتأليف كتاب في هذا الصدد، وتحت عنوان " السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية "حيث تم اعتماده ككتاب منهجي على طلبة المرحلة الرابعة . والحق كان هذا الكتاب ثمرة جهد كبير وتجربة سنوات كثيرة قام المؤلف في كتابته، والمكتبة العربية كانت تفتقر إلى ذلك.

وبعد ذلك، قام الأستاذ الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني بتدريس مادة السياسة الخارجية، حيث أنجز كتابا في هذا الصدد وذلك في عام 1991 ، وتحت عنوان " السياسة الخارجية دراسة نظرية . وبعد ذلك تم تكليفنا بإنجاز كتاب منهجي ، وقد أنجزناه في عام 2001 ، فضلا عن تحديثه في عام 2008. ولأهمية ذلك، فإن مادة السياسة الخارجية درست تبعا للخطة الآتية :

– **دراسة نظرية السياسة الخارجية:** تناولت عدة موضوعات منها: مفهوم السياسة الخارجية، السياسة الخارجية والسياسة الدولية، السياسة الخارجية والستراتيجية، السياسة الخارجية والدبلوماسية، السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية.

– **مناهج السياسة الخارجية:** تم استخدام مناهج متعددة في السياسة الخارجية وفي مقدمتها، المناهج التقليدية والمناهج المعاصرة. ومن الممكن تقسيم المناهج في السياسة الخارجية على:–

أولا – المناهج التقليدية: تؤكد المناهج التقليدية، إن السياسة الخارجية بوصفها ظاهرة، لا يمكن ارتباطها بدراسة علمية ومفاد هذا القول، يرجع إلى أن موضوع السياسة الخارجية له علاقة ببرامج العمل التي تتبناها القيادة السياسية إزاء العالم الخارجي، هذه البرامج التي تتضمن أيضاً الأهداف

(6) المصدر نفسه ، ص 101 .

والوسائل أي تصور ما يجب أن يكون، ولا علاقة للعلم بتحليل هذه البرامج، بسبب أن العلم ينصب اهتمامه بالواقع [7].

ونتيجة لذلك، فان هذه المناهج اقتصرت على مجرد وصف السياسة الخارجية[8]، ولا سيما السياسة الخارجية للقوى الكبرى، على مستوى التتبع التاريخي أو بمحاولة تحديد الاهداف القيمية والاساليب التي تتضمنها[9].إلا أن كتاب السياسة الخارجية وابتداء من منتصف الخمسينات، بدأوا ينتقدون هذا المفهوم، مؤكدين أن موضوع السياسة الخارجية يخضع أساساً للتحليل العلمي، لأن ما ذهب اليه أصحاب هذا الرأي من ان السياسة الخارجية هو برامج العمل للقيادات السياسية لا ينفي من اخضاعها للوصف والتفسير والتنبؤ العلمي [10].

يقوم المنهج التقليدي على المناهج الآتية :

1 – المنهج التاريخي :

يعد هذا المنهج من أكثر المناهج استخداماً في السياسة الخارجية ، يولى أهمية كبرى على دراسة التاريخ الدبلوماسي، بسبب أن العلاقات الدولية المعاصرة لها جذور وإمتدادات تاريخية سابقة ينبغي الإحاطة بها من جوانبها كافة، وعلى هذا الأساس فان الروابط والصراعات والأحقاد التاريخية تعد عند دعاة هذا المنهج من بين القوى الرئيسة التي تتحكم في الاتجاهات السياسية الخارجية للدول [11] .

---

(7) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره ، ص6 .

(8) يقصد بوصف ظاهرة السياسة الخارجية، توصيف وتصنيف الأبعاد الأساسية المكونة لظاهرة السلوك السياسي الخارجي، والأخيرة تتضمن أبعادا أساسية كالتوجهات العامة والأهداف والأدوات الأولية والاستراتيجيات والقرارات والسلوكيات وغيرها، وهذه الأبعاد جميعها قابلة للنقاش العلمي. راجع : المصدر نفسه، ص ك .

(9) المصدر نفسه ، ص ك .

(10) يدخل التفسير العلمي للسياسة الخارجية في صلب موضوع السياسة الخارجية، الذي يعني تحديد مجموعة المتغيرات التي تؤثر على السياسة الخارجية، وتحليل الأثر النسبي لتلك المتغيرات على تلك السياسة. المصدر نفسه، ص ك.

(11) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، ط4، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985، ص14؛ والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره ، ص89.

يرى أصحاب هذا المنهج ان أغلب العلاقات الدولية كانت تقع في نطاق السياسة الخارجية، فان الدبلوماسية كان لها دورها في الإشراف على التنفيذ من خلال وزارات الخارجية، فضلاً عن ذلك فان ممارسة العمل الدبلوماسي في المجال الخارجي أدت الى تكوين التجارب الشخصية. زد على ذلك فان السياسات الخارجية للدول الأوربية كانت تقنن في معاهدات واتفاقيات وبروتوكولات لتنظيم تلك السياسات ولتحديد المواقف إزاء قضايا دولية[12]. ويؤكد دعاة هذا المنهج، أن بإمكان المدرسة التاريخية تحقيق المزايا الآتية [13]:

1. القدرة على تحري الأسباب التي تكمن وراء نجاح أو إخفاق قادة الدول في تبني سياسة خارجية محددة في وقت ما، والتوصل إلى دلالات عامة لأنماط السلوك الدولي المختلفة.
2. إن استخدام المنهج التاريخي يؤدي إلى تفهم أكبر وأعمق للاتجاهات التي يسلكها تطور العلاقات السياسية بين الدول، وانتقالها من نظام إلى آخر.
3. يساعد على تفهم الكيفية التي يتم بها اتخاذ بعض قرارات السياسة الخارجية والدوافع التي تمليها والنتائج التي تتبلور عنها وذلك في الإطار التاريخي الحقيقي لهذه القرارات.
4. إن التاريخ عند دعاة هذا المنهج، يعد بمثابة معمل للتجريب واختبار العلاقة التي تقوم بين الأسباب والنتائج في السياسة الدولية على أساس ان لكل موقف دولي طبيعته المتميزة، وان مواقف السياسة الدولية لا تتكرر على النحو نفسه .

2 –المنهج المثالي :

يعد من المناهج التقليدية في السياسة الخارجية، يتمثل في المنهج المثالي، وقد مثل هذا المنهج في الماضي جروشيوس، وويلسون في بداية القرن العشرين، وثروب في الفكر المعاصر، ويدور هذا المنهج حول فكرة مفادها: وجود مستوى اخلاقي للسلوك يستقل عن الوحدة البشرية، يقوم بالتحكم في منطق السلوك ذاته [14]. ويقر هذا التصور إلى الاعتراف بمجتمع دولي يسوده قانون عام يطبق عليه، ولاسيما لمبدأ Servanda Pacta Punt والإمتناع عن التدخل العنيف في شؤون الآخرين[15]. أكد أصحاب هذا المنهج على مبدأ توازن القوى الذي يعد أداة من ادوات تحقيق المثالية

---

(12) الدكتور كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص45 .

(13) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص14–15 .

(14) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص 17 .

(15) كارن إي . سميث و مارغوت لايت ، الأخلاق والسياسة الخارجية ، تعريب فاضل جتكر ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2005 ، ص 15 .

السياسية، فالتوازن بين القوى هو وسيلة غير مباشرة لمنع الصراع، وبتعبير آخر انه تعبير عن قانون سياسي يماثل قانون الجاذبية في العلوم التطبيقية، تعطي هذه المدرسة أهمية كبيرة للمثل والأخلاق، وفي هذا المجال يرى ليرنر: (إن المثل والأخلاق هامة في السياسة كمقاييس لكنها نادراً تكون فعالة كأساليب. وغالباً ما نجح المصلحون الدينيون في جعل الأخلاق العامة أقرب إلى بعض النظم الأخلاقية ، بيد أنهم لم ينجحوا البته كرجال دولة)[16].

ويبدو أن المثالية ارتبطت بشكل وثيق بالتوجه الانجلو أمريكي القائم على افتراض وجود مجال اختيار واسع أمام صانع القرار السياسي في تقرير الشكل الذي تتخذه سياسة بلاده الخارجية[17]. ونتيجة لاستناد المذهب المثالي على أساس معرفة " كيف يجب " أن يتصرف السياسيون في العلاقات الدولية لا على أساس " كيف يتصرف هؤلاء فعلا " وقف المثاليون موقف الرفض من مجموعة من المبادىء السائدة في العلاقات الدولية كمبدأ توازن القوى المرتبط تاريخيا بأوربا ومبدأ استخدام القوة في الشؤون الدولية والمعاهدات السرية للحلفاء والتقسيم المجحف للعالم خلال الحرب العالمية الأولى، وطرحوا مبادىء مقابلة تمثلت في الحقوق والالتزامات القانونية الدولية والتناسق الطبيعي بين المصالح القومية كوسيلة للحفاظ على السلام العالمي والتركيز على دور العقل في إدارة الشؤون العالمية وإبداء ثقة في الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها الرأي العام[18].

قّوم ادوارد هاليت كار المثاليين على أنهم من الناحية الفكرية ورثة التفاؤل الفكري الذي أتى به عصر التنوير في القرن الثامن عشر من جهة، وليبرالية القرن التاسع عشر من جهة ثانية، والمثالية التي اتسم بها القرن العشرين متأثرا بأطروحات ويلسون من جهة ثالثة [19].

---

(16) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص17–18 ؛ وللمزيد من التفاصيل راجع : الدكتور إبراهيم أبو خزام ، الحروب وتوازن القوى دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1999 ، ص219–342؛ و د. سعد حقي توفيق ، مصدر سبق ذكره ، ص84–87 ؛ ود. كاظم هاشم نعمة ، العلاقات الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص 49–53 ؛ و ريتشارد نيكسون ، القادة ، ترجمة خضر إبراهيم ، ص451 ؛ و ole R.Holsti, Alliance and Coalition Diplomacy ,In James N.Rosenau Kenneth W.Thompson Gavin Boyd, World Politics An Introduction, The Free Press Adivision Of Macmillan Publishing Co.,Inc. New York ,1976, pp.339-340.

(17) جيمس دورتي – روبرت بالستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص 10 .

(18) المصدر نفسه ، ص 10 – 11 .

(19) المصدر نفسه ، ص 10 .

ويمكن عد" ادوارد هاليت كار " أفضل من بحث جوانب الخلاف الفلسفية بين المثاليين والواقعيين بخاصة قي دراسته المنشورة عام 1939 والتي استند اليها أغلب الباحثين الذين جاءوامن بعده [20] .

يرى كار أن الأزمات الدولية المعاصرة تحمل في طياتها الدلالة الكافية على انهيار التحليل المثالي المستند لمبدأ التناسق أو التناغم في المصالح القومية، ولكنه ينتقد كلا المذهبين الواقعي والمثالي، على أساس أن الأول ينظر للتاريخ نظرة تشاؤمية، في الوقت الذي يتجاهل الثاني الدروس المستفادة من التاريخ ذاته، وفي الوقت الذي يبالغ فيه المثاليون في حرية الاختيار لصانع القرار يبالغ خصومهم في التأكيد على ضرورة العلية أو السببية وينزلقون نحو شكل من أشكال الحتمية، فضلا من أن المثاليين يخلطون بشكل كبير بين المصالح الذاتية القومية، والمبادىء الأخلاقية، في الوقت الذي يحصر الواقعيون أنفسهم في هيمنة المصالح الذاتية متجاهلين الأفعال أو التصرفات البناءة والمفيدة، وهو الأمر الذي يجعل من الواقعيين ينكرون إمكانية تعديل السلوك الإنساني من خلال الفكر [21].

3 – المنهج الواقعي:

ظهرت الواقعية التقليدية في عام 1940، حيث هيمنت على عقول الشباب من الدارسين لمادة العلاقات الدولية في الولايات المتحدة [22]، وتمت معالجتها من الاكاديميين الى عام 1950، واستمرت الى عام 1960[23] يشير هذا المنهج الى أهمية القوة في العلاقات الدولية، إذ أن الأخيرة هي علاقات قوة، وهي ظواهر لها، وعليه ذهب هذا المنهج من ان الرغبة في الهيمنة هي الظاهرة

(20) المصدر نفسه ، ص 10 .

(21) المصدر نفسه ، ص 11 – 12 .

(22) جيمس دورتي – روبرت بلستغراف ، مصدر سبق ذكره ، ص 59 . يقول كارن إي . سميث، أن المنهج الواقعي، ساد في نظرية العلاقات الدولية وبين صانعي القرار السياسي العمليين خلال الحرب الباردة . راجع : كارن إي – سميث ومارغوت لايت ، مصدر سبق ذكره ، ص 10 .

(23) (Peter Hough , Understanding Global Security , Routledge Taylor & Francis Group , London & New ,York , 2005 , Charles W. Kegley,.Op. Cit. , pp. 22-23.

والسمة المميزة للعلاقات الدولية بمعنى أكثر دقة، إن الدول بامكانها ان تصل في تحقيق اهدافها في السياسة الخارجية بالوسائل كافة، دون أن تعطي أية أهمية للجوانب القانونية والاخلاقية [24].

وبدون شك، تحتل القوة أحدى المحاور الأساسية في حركة المجتمعات والانظمة السياسية، وتعد من أكثر الموضوعات أثارة في الوقت الحاضر، إذ أصبح من مسلمات الموضوعات في تحليل التطورات المكتنفة بالدول، وتفسير التاريخ على أساس تغير القوى المهيمنة وفي حقب زمنية متباينة[25].

الواقعية كنظرية سياسية، ترجع جذورها الى تاريخ Tucydides لليونان القديمة، وحرب بلوبونيز بين أثينا وأسبارطة (404–431 ماقبل الميلاد)، عناصر الواقعية ترجع الى كتابات Kautilyaالذي كان وزيرا للأمبراطور Maurya في الهند أكثر من الفين سنة الماضية ، فمنذ تأكيدات ثوسيديدس قبل أكثر من ألفي عام في حوارات ميليان بأن " الأقوياء يصنعون كل ماتمكنهم القوة من صنعه، فقد دأب دعاة الواقعية على ترديد التفستر القائل بأن طبيعة الأنسان وما تمليه الفوضوية في النظام الدولي يؤديان إلى مأأسماه فريدريك الأكبر " المبدأ الدائم للحكام ": "أن يتوسعوا إلى أقصى حد تسمح به قوتهم "[26] تستمد الواقعية أفكارها وبصورة خاصة من الفلاسفة الأيطاليين مثل نيقولا ميكافيلي((1527–1469))، وتوماس هوبز البريطاني (1588–1679)[27]، ومينغ تسي في الصين. وقد أكد هؤلاء في بحوثهم ورسائلهم على Tbe Prince ((الأمير))،

---

(24) ج . أ تونكين ، مصدر سبق ذكره ، ص221 – 222 .وأنطونيا فيليكس، كوندي قصة نجاح كوندوليزا رايس، ترجمة سعيد الحسنية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، 2007 ، ص 99 . و Henderson, Op.Cit., pp23-24.

(25) الدكتور نظام بركات، مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي في إسرائيل ، 1963 – 1983 ، دار الجليل للنشر، عمان ، 1983 ، ص29 . و. و Henderson, Op.Cit., pp .23-24

(26) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، ترجمة رضا خليفة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ، 1999، ص 28؛ وجيمس دورتي– روبرت بالتسغراف، مصدر سابق، ص 61– 62.

(27) جيمس دورتي– روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص 61 – 62 ؛ يشير هوبز، " إن الانسان لايمكنه تحمل حالة إنعدام الأمن حينما تكون هي الوضع الطبيعي السائد، حتى إنه ليقبل الطغيان، ولكنه لايقبل أن يعيش في ظل ظروف من الفوضى. بيد أن فوضى الحياة الدولية لاتدفع الدولة بالمثل إلى قبول وجود مستبد عالمي، وذلك لأن الدولة تأوي الإنسان في كنفها، وتخفف من شعوره بانعدام الأمن؛ راجع فريد زكريا، مصدر سبق ذكره ، ص 30.

Leviathan ((الليوثان)) الدولة ذات النظام الدكتاتوري، وعلى التوالي الحسابات القائمة على المصالح والحذر والأحتراس والقوة والنفعية فوق كل الإعتبارات الأخرى مثل الأخلاقية[28]، أما في القرن السادس عشر، فقد ركز ميكافلي على دور القوة في الممارسة السياسية في عصره مؤكداً أن الحاكم لا بد ان يعتمد على معايير أخلاقية تختلف عن تلك التي تبناها الفرد العادي من أجل ضمان امن الدولة وبقائها، وان السياسة هي تصارع على المصالح، ثم تحدث ميكافلي عن التشاؤم تجاه الطبيعة البشرية [29] .

4 – الواقعية الجديدة: تعد الواقعية الجديدة التي تعرف أيضا بالواقعية البنيوية أو الواقعية العصرية بمثابة امتداد للواقعية التقليدية في الثمانينات، ومن أهم مؤيديها كينيث والتز[30] وستيفن كريزنر وروبرت جيلبن[31] وروبرت تاكر وجورج مودلسكي. وهؤلاء تخطو كثيرا سابقيهم من الواقعيين

---

(28) Kegley , Op. Cit.,P22.

(29) جيمس دورتي، بالستراف، روبرت ، مصدر سبق ذكره ، ص61–62 ؛ قارن مع الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص16 ؛ في هذا المجال يقول جون مياشيمير الأستاذ في جامعة شيكاغو " العلاقات الدولية هي ليست في حالة حرب مستمرة ولكنها في حالة تنافس أمني قاسي). راجع:

Jentleson , Op.C it. p.11.

(30) حاول كينيث والتز، ترجمة حالة " الفوضى " في النظام السياسي الدولي، والقائمة على وجود وحدات دولية، تتمتع بالسيادة ، مع عدم توفر نظام قانوني يستحوذ على الهيمنة عليها، عند ذلك، لا محالة من نشوب الحرب بين مثل هذه الوحدات . من المؤكد فيه، أنه في ظروف تسود فيها حالة " الفوضى الدولية " فإن الوحدات الدولية تفقد مفهوم الإنسجام التلقائي بينها، في مثل هذه الحالة عندما تكون الدولة هي مخيرة في الحكم على طبيعة نواياها ، فإنها لا محالة لها من إستخدام القوات القتالية لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية في إي وقت تشائها . وبالنتيجة فإن إي وحدة دولية ينبغي أن تكون مهيأة ، وعلى الدوام ، رد القوة بالقوة ، أو دفع فاتورة ضعفها . راجع :
Keneeth N. Waltz , Mar , The State & War , Athearetical Analysis N . Y : Colombia Unversity Press , 1959 , pp . 159 – 160

(31) روبرت جيلبن هو أستاذ العلاقات الاقتصادية الدولية، وأستاذ فخري في العلوم السياسة والسياسة الخارجية في كلية " ودرو ولسن " للعلاقات الدولية في جامعة " برينستون " يحمل لقب " ايزنهاور " للأستاذية . له مجموعة من المؤلفات، في مقدمتها : الحرب والتغير في السياسة العالمية، الاقتصاد السياسي في العلاقات الدولية. لجأ جلبن في كتابه ((الحرب والتغير في السياسة العالمية)) إلى منهج استقرائي منطلقا من نظرية الاختبار العقلاني ليحلل موقف الدول انفرادا، وبالتالي

التقليديين التجريبية المتنافرة الاجزاء أو ما يعرف Atomistic Empiricism من خلال جهودهم بأيجاد نظرية علمية موضوعية للسياسة الخارجية على عكس المدرسة التقليدية القائمة على البديهة وبعبارة أكثر دقة أنها تحاول تغيير السياسة الخارجية الى مواد العلوم الاجتماعية. وهناك سمات معينة للواقعية الجديدة، يمكننا إيجازها في الأتي [32] :-

1- تأكيدها على معنى الصراع السياسي الدولي للسيطرة ومن خلال العلاقات الاقتصادية الدولية، وقد ذهبت الواقعية الجديدة إلى القول بأن كل من المدرسة الليبرالية والمدرسة الراديكالية في الاقتصاد أخفقت في أدراك وفهم هذه العلاقات الاقتصادية عندما تناولتها بمعزل عن العلاقات بين الدول. وقدمت الواقعية الجديدة نظريات لتفسير وشرح العلاقات البنيوية أو الأرتباط السببي بين الوسائل والأهداف التي تؤدي إلى نشوء السيطرة أو اضمحلالها، وبالتالي تحديد مؤشرات أو معايير للتنبؤ بالنشوء والأضمحلال .

2- تتميز الواقعية الجديدة بمفهوم الدولتية Statism من خلال منح الدولة القدرة على تكوين الأهداف والمصالح .

ولإدخال هذه المبادىء الى حيز الواقع العملي، كتب Kenneth N . Waltz في نهاية عام 1993 قائلا: ((من أمنياتي الرئيسة هي أبراز السياسة الداخلية الأمريكية، وانهماكها في الشؤون الدولية، وهذا يعني بعدم أقرارنا بسياسة الانعزال، حيث أصبحت متعذرة التطبيق، ووقفت أمام الأقطار الأخرى وعلى المدى البعيد لمعالجة مشاكلها وأخطائها)). وفي هذا المعنى، يقول Charles Kegley: ((وأني لمدرك تماما ، أنه في حالة عودة العالم الى نظام القطبية المتعدد مرة ثانية فأن الواقعية بحاجة الى من يدافع عنها)) [33].

5 – المنهج السلوكي :

ليحدد من خلال ذلك السمات والتغيرات في النظام الدولي. راجع: الدكتور ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره ، ص64؛ ولمزيد من التفاصيل حول الواقعية الجديدة راجع : الدكتور كاظم هاشم نعمة، نظرية العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص 57 –61.

(32) دكتور ناصيف يوسف حتي ، مصدر سبق ذكره ، ص63 .

(33)Kenneth N. Weltz, "Structural Realism After The Cold War, In Understanding International Relations The Value Of Alternative Lenses, By Daniel J.Kaufman. Jay M.Parker. Kimberly C.Field, Fourh Edition, The McGraw-Hill Companies, Inc , New York, 1999 ,P312 , Charles W.Kegley,Op.Cit.,P.25.

نشأت المدرسة السلوكية في منتصف الخمسينات، وتبلورت بشكل أساسي في الستينات. وهدفت السلوكية إلى إيجاد نظرية تعليلية تفسيرية وتنبؤية [34]. و يقوم المنهج السلوكي على مجموعة من العناصر، يمكننا إيجازها في الآتي: التناسق، والتثبت، والوسائل المستعملة، والقياس الكمي، والقيم، والترتيب المنهجي، والعلم التجريدي، والاندماج[35].

إن السلوك السياسي قد يكون في صورته الأولى والأكثر عمومية هو سلوك المواطن العادي الذي يتعامل مع السلطة في كيفية تعامله معها. نقصد بالمواطن العادي ذلك الذي لا يمارس السلطة ولا يعنيه السلطة. هو مواطن مكره على أن يحتك بالسلطة وصورته العادية في هذا الإحتكاك هو عملية التصويت السياسة [36] .

ثم أن هناك نموذج آخر أقل وضوحا ولكنه أكثر أهمية، وهو الشخص الذي ينتمي إلى الطبقة المحكومة ومن ثم لا يمارس السلطة، ولكنه يرغب ويسعى في أن يصل إلى السلطة، ومن ثم ينتظر للفرصة المناسبة لينقض على السلطة وصاحب السلطان [37].

كذلك أن السلوك السياسي من الممكن أن يفهم أنه سلوك جماهيري وليس فقط سلوك فردي أو جماعي، فالإشاعة السياسية تعبير عن السلوك الجماعي، والذعر الجماعي السياسي تعبير عن السلوك السياسي الجماهيري. على أن النظرية السلوكية تعودت عندما تتحدث عن السلوك السياسي أن تقصد به فقط ذلك النموذج الأول : المواطن العادي الذي يتعامل مع السلطة دون أن يقصد أو يسعى إلى ممارسة السلطة ودون أن يعبر عن سلوكه بموقف المعارضة المتحفزة إلى الوصول إلى دفة السلطة [38]. فالسلوك السياسي ليس إلا أحد نواحي الشخصية الفردية بحيث لا يستطيع أن تفصله لا جزئيا ولا كليا عن السلوك الفردي والشخصية حقيقة واحدة، حقيقة ديناميكية لا تقبل التجزئة، وكذلك السلوك السياسي ليس إلا إمتداد للسلوك الفردي[39].

ثانيا – المناهج المعاصرة

---

(34) ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص40 ؛ والدكتور سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص 97 .

(35) المصدر نفسه ، ص 40 – 41 .

(36) الدكتور حامد ربيع ، العلوم السلوكية ، الجزء الثاني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1972 ، ص 42 .

(37) المصدر نفسه ، ص 42 .

(38) المصدر نفسه ، ص 42 .

(39) المصدر نفسه ، ص 44 .

1 – منهج التحليل النظمي

ظهرت قبل حقبة من الزمن مدارس فكرية حاولت توحيد مختلف العلوم من أجل الوصول إلى الإطار الفكري والمنهجي الموحد ، وقد تمثلت هذه المدارس النظرية العامة للتنظيم Systems General Theory التي تعود جذورها إلى جهود العالم البيالوجي " فون بيرتا لانفي " في العشرينات من هذا القرن(40).

ومن اجل ادخال هذه المفاهيم الى حيز الواقع العملي، عقدت مؤتمرات عديدة بعد الحرب العالمية الثانية ضمت علماء من اختصاصات مختلفة، أثارت الجدل والمناقشة حول ذلك الامر الذي ادى في عام 1956 الى انشاء جمعية بحوث النظم العامة التي قامت فيما بعد الى اصدار كتابها السنوي الأول. ومنذ تلك الحقبة حاولت الجمعية خلق اطار عام للنظرية العامة للنظم. وقد تمتعت محاولات بيرتا لانفي بصدى عام من بعض الكتاب (41)، إلا أن الكتابات الأكاديمية التي كانت تغلب عليها المنهج التقليدي حالت من دون انتشار هذه الافكار، إلا أن هذه الامور تكون قد تغيرت بعد منتصف الخمسينات من خلال تأثير الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التي اشارت الى اهمية افكاره من خلال دراسة الابعاد الداخلية والدولية في آن واحد(42).

انطلق دعاة هذه النظرية من مفهوم النظام " System " الذي يعد عندهم بمثابة وحدة التحليل الاساسية (43). وقد عرف النظام بريار قائلاً : " أنه مجموعة العناصر المتفاعلة المكونة لكلية، التي تنم عن تنظيم ما "(44).

---

(40) الدكتور كمال المنوفي، الأنظمة السياسية المقارنة ، الكويت ، 1987 ، ص93 و Rothman Stanly , Systematic Theeory : Observations of the Group Approach , in Puplic Opinion and Policy : Models of Political linkage , E.d., by Norman R.Luitbeg , U.S.A, 1968 , P.139.

(41) عمل فون برتالانفي على إعداد نظرية عامة للعلوم مستنداً على علم الأحياء تكون صالحة سواء للعلوم الطبيعية أو للعلوم الاجتماعية مؤكداً حول إمكانية توحيدها على قواعد منطقية – رياضية فكان يعمل على تناول التصرف البشري في إطار نظام حي وبوساطة حساب التوازنات الدينامية الدائرة في أنظمة مفتوحة "، راجع: ريمون حداد، مصدر سبق ذكره ، ص197.

(42) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره ، ص107–108.

(43) المنوفي، مصدر سبق ذكره ، ص93. وللمزيد من التفاصيل حول مفهوم النظام راجع : Waltz, P . 45 Op.Cit.,

(44) الدكتور غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية منذ عام 1945 دراسة في العلاقات الدولية ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، 1980 ، ص9.

2 – المنهج المقارن

" المقارنة هي التمييز بين أو وصف الخصائص والصفات المشتركة أو المختلفة لشيئين أو أكثر أي هي تقصي نقاط التشابه أو الاختلاف وتحل المقارنة احياناً محل التعريف او تكلمه . وقد تعني المقارنة ايضاً النتيجة التي قد تتمخض عن أي من تلك الدراسات "[45].

وفي هذا المجال، يقول الفيلسوف الإجتماعي الفرنسي أليكس دي توكفيل: " أن المقارنة شيء أساسي للفكر البشري، علاوة على أنها جوهر المنهج العلمي، فمقارنة ماضي أمتنا وحاضرها، ومقارنة تجاربنا بتجارب الأمم الأخرى يعمق من رؤيتنا لمؤسساتنا الخاصة. ويتيح لنا تفحص سياسات المجتمعات الأخرى رؤية مدى أوسع من البدائل السياسية، ويلقي الضوء على فضائل حياتنا السياسية وعيوبها. وبإخراجنا من شبكة المسلمات والترتيبات المألوفة التي أعتدنا العمل من خلالها، فإن التحليلات المقارنة تساعدنا على توسيع وعينا للإمكانات الكامنة في السياسة " [46].

ويتشابه هنا منطق المناهج المقارنة المستخدمة من قبل العلماء السياسيين ومفهومها مع تلك المستخدمة في العلوم الدقيقة. إن العالم السياسي لا يستطيع أن يصمم تجارب يتفحص من خلالها الترتيبات السياسية ويراقب النتائج . لكن من الممكن وصف وشرح مجموعة مختلفة من الأحداث والمؤسسات الموجودة في سياسات المجتمعات المختلفة [47]. قبل ألفي عام، استعرض أرسطو في كتابه " السياسة " البنى الإقتصادية والإجتماعية للعديد من المدن اليونانية في مسعى لمعرفة كيفية تأثير البيئة الإجتماعية والإقتصادية على المؤسسات والسياسات [48].

---

(45) محمد محمود ربيع، مناهج البحث في السياسة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد 1978، ص249؛ انتقد روى مكريدس في عام 1955 في كتابه " دراسة السياسة المقارنة " المنهج التقليدي للتحليل السياسي، على الرغم مما قدمه هذا المنهج في مجال البحث العلمي. فلم يكن دراسته إلا المقارنة بالشكل والتسمية، لا بل غير مقارن في فحواه، فجل دراسته اهتمت بدولة واحدة أو غلبت عليه جانب الوصف في تناول المؤسسات في عدد من الوحدات الدولية. راجع: الدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، 1998، ص40.

(46) جابرييل إيه . آلموند جي . بنجهام باويل الإبن ، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية ، ترجمة : هشام عبدالله ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، 1998 ، ص 15.

(47) المصدر نفسه ، ص 15 .

(48) المصدر نفسه ، ص 15 .

قارن روبرت دال، وهو عالم سياسي حديث، في دراساته عن الديمقراطية، بين الخصائص الاقتصادية، والثقافية، والتجارب التاريخية للعديد من الأمم المعاصرة في محاولة لإكتشاف تركيبات الظروف والصفات المميزة التي ترتبط بذلك الشكل من أشكال الحكومة[49]. وقارن منظرون آخرون في محاولتهم لتفسير الفروق بين أعمال وإنجازات الأنظمة السياسية والأنظمة الدستورية والأنظمة الاستبدادية، والديمقراطيات ثنائية الأحزاب مع الديمقراطيات متعددة الأحزاب، والحكومات المستقرة مع الأنظمة المزعزعة[50].

3- المنهج التحليلي :

من الناحية التاريخية، فقد أشار إلى هذا المنهج كل من ارسطو في دراسته للمنطق، وايمانويل وهوسيرل[51]. ويمكننا أن نعرف التحليل بانه " عملية تعريف وتقويم للاجزاء التي يتكون منها الكل، وبتعبير آخر هو تعريف وتقويم للاجزاء المكونة للموضوع قيد البحث كوسيلة للحصول على معرفة غنية وجديدة، والمنهج التحليلي يتخذ اشكالا ومستويات مختلفة تبعاً لطبيعة ذلك الموضوع، وان تعدد عمليات التحليل يعد شرطا لتوفير ادراك اعم واشمل له[52] ".

---

(49) المصدر نفسه ، ص 15 .

(50) المصدر نفسه ، ص 15 -16 .

(51) الدكتور محمد محمود ربيع ، مصدر سبق ذكره ، ص 240.

(52) المصدر نفسه ، ص240. وفي هذا المجال، لابد من التميز بين أسلوب الاستقراء، وأسلوب الاستنباط، يشير الأول إلى كيفية الانتقال من الخاص إلى العام، وبعبارة أخرى، هو عملية تقويم لحكم معين، وهذا الحكم قد يكون مرده الملاحظة، أو المنطق المجرد. أما الثاني فأنه يشير الانتقال من العام إلى الخاص، وهو تفريغ نتيجة على قاعدة أو حكم. هو بطبيعته عملية منطقية، ولكن هذه العملية قد تكون مجربة وقد ترتبط بواقعة معينة، وهي على كل حال عملية تطبيق وتخصيص. وهذا ما يقودنا أن نميز بين المنهج الاستدلالي والمنهج التجريبي، في المنهج الاستدلالي، نرى أن موضوعه يتحدد في المخلوقات العقلية، الذي لايقتصر على السير من الكل إلى الجزء، بل يسير من الخاص إلى العام، وهذا يعني بان هذا المنهج يقترب كثيراً من المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على أساس الانتقال من الخاص إلى العام. أما المنهج التجريبي فان موضوعه يتمحور في الوقائع الخارجية، أي وقائع تتجاوز العقل سواء أكانت خارجة عن النفس إطلاقا أم باطنة فيها، أي عدم الاعتماد على مبادئ الفكر وقواعد المنطق الصورية وحدها، والاعتماد على التجربة في البحث العلمي، راجع : الدكتور عبد الرحمن بدوي، مصدر سبق ذكره، ص 127-128، علماً أن العلوم الطبيعية تعتمد اعتماداً كلياً على منطق المنهج التجريبي، وترجع إليه حسب ما تقتضي عليه

4- منهج اتخاذ القرار

يتضمن البحث العلمي ان نميز بين عملية صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية، وعملية إعداد القرار إذ تعد الأولى " عملية ناتجة عن اختيار خطة ضمن عدد محدود وذوي طابع اجتماعي من البدائل التي تهدف الى صياغة وتحديد الموضوعات المستقبلية التي يعالجها صانعو القرار"[53]. أو بعبارة أخرى هناك منهج للحركة يقوم مخطط السياسة الخارجية بتحديدها للانتقال من الاعداد الى التنفيذ على ضوء الاهداف والمصالح القومية والتقاليد التاريخية . وتتأثر هذه النواحي جميعا بقدرات الدولة الستراتيجية والتكتلات التي تنتمي اليها من اجل السعي في تحقيق اهداف ومصالح الدولة الخارجية [54]. وبتعبير أدق، أن عملية صنع القرار هي المرحلة المحورية في العملية السياسية، فقد تم ترتيب القوى السياسية، وبعدها يتم الانتقال الى سن سياسات رسمية: مشروعات قوانين تقترح وتمرر من خلال المؤسسة التشريعية او اصدار مراسيم من خلال القادة، وبعد ذلك يتم الانتقال الى تنفيذ اهداف السياسة الخارجية ومن ثم مراجعة النتائج [55]. ويشير المفهوم الثاني الى " وضع منهج للنشاط الاداري والعلمي بغية تحقيق الاهداف الوطنية بحيث يشمل هذا المنهج تحديدا زمنيا لتحقيق هذه الأهداف، ويعين الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هذه السياسة[56]. أو بمعنى اخر ان هناك مجموعة من الاهداف تبغي الدولة تحقيقها وقد تحددت في

إجراءات البحث وطبيعة المتغيرات والعناصر، أما في مجال العلوم الإنسانية التي تتميز بوجود سلسلة من العلاقات المتداخلة والتي تتسم بالتعقيد بين متغيراتها بسبب اكتنافها بظواهر اجتماعية متعددة على نطاق واسع وارتباطها بجذور تاريخية. ولابد من التأكيد في هذا المجال، إن هذا المنهج يشير من ناحية أخرى إلى اختيار متغير أو أكثر من ذلك يوجد بينهما صلة سببية بينهما، ثم القيام بعد ذلك بعزل البقية الباقية من المتغيرات في البيئة، وفي مرحلة لاحقة من ذلك، عرض ذلك المتغير إلى منبه لملاحظة التأثيرات المترتبة على هذه العملية، وبعد ذلك الانتقال لدراستها وذلك بالمقارنة مع المتغيرات التي بقيت خارج إطار المنبه المشار إليه. وتجدر الإشارة في هذا المجال من أن علماء السياسة لا يعولون على هذا المنهج كثيراً على الرغم من المزايا العلمية لهذا المنهج. راجع : الدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، مصدر سبق ذكره، ص 34؛ الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره ، ص21.

(53)sny der , Richard C., H.W.Bruck and Spain , Buron , Foreign Policy Decision Making , NewYork , 1962. P.90.

(54) Norman J, Padelford and George K, Lincion , The Dynamics of International . Politics , NewYork , The Mecmillam Company 1967 , PP.214 –215.

(55) Almond and Powell , Op.Cit ., P.102.

(56)Dutsch , Karl. The Analysis of International Relation , Englewood Prentic –Hall , 1968, P.77.

ضوء الامكانيات ومقومات التطور. وقد نظر الى هذا الاخير نظرة متسعة نسبيا من حيث الزمان. هذه العملية من حيث طبيعتها لاتعدو ان تكون محاولة خلق الاتصال الضروري بين الواقع السياسي والاهداف القومية، ومن ثم يسعى صانع السياسة الى تخطي الحواجز التي تفصل الاهداف بالامكانيات [57]. ولابد من التأكيد في هذا الشأن، أن عملية صنع القرار تشير الى عملية التفاعل بين المشاركين كافة على المستوى الرسمي وغير الرسمي في رسم السياسات العامة، فعملية صنع القرار تعد بمثابة الوظيفة الرئيسة الملقاة على عاتق المؤسسات السياسية، وقد تقوم الاخيرة في اختيار البديل المناسب من خلال المناقشة والمفاضلة .

وقد برز في هذا الحقل ريتشارد سنايدر، إذ عد أن الأساس في الوحدة النهائية لتحليل السياسة الخارجية هي عملية صنع القرار. فحوى هذه النظرية هو ان الحركة السياسية لاتعدو ان تكون لموقف تحدد زمانا ومكانا وموضوعا. وهذا يعني ان صانع القرار السياسي، سواء على مستوى الحركة او على مستوى التنبؤ لابد وان يقوم بتحديد المتغيرات التي تتحكم في الموقف[58]. كما تم تخصيص فصل مستقل عن العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية والتي تندرج تحت عوامل داخلية وخارجية، وقد طرحنا في الاول منها الإمكانات الموضوعية الدائمة او شبه الدائمة، التي تتحدد في المتغيرات الجغرافية والاقتصادية والسكانية والعسكرية، فضلاً عن المتغيرات الاجتماعية التي تكمن في الطابع القومي والرأي العام والاحزاب السياسية وجماعات الضغط، أما العوامل الخارجية فانها تتركز في الموضوعات الاتية: الرأي العام الدولي والتكتلات الدولية والمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسية .

وزارة الخارجية بين وظيفة التنفيذ وعملية صنع القرار

تعد الدبلوماسية هي احدى ادوات السياسة الخارجية، والتي تشير الى كيفية نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي على مستوى العلاقات الدولية. بهذا المعنى، نكون امام وظيفة التنفيذ هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، ان تحقيق مصالح الدولة يكون من خلال استخدام القنوات السلمية في العلاقات الدولية، والتي تتركز حصراً في وظيفة وزارة الخارجية. كل هذا يشير الى ان الوظيفة الرئيسة لوزارة الخارجية هي وظيفة تنفيذ السياسة الخارجية، ولا تتجاوز وظيفة نظرية اتخاذ القرار في

(57) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره ، ص 10.

(58) يعرف الموقف بأنه " مفهوم تحليلي يشير إلى العلاقة بين الحوادث والأهداف والأوضاع ، وبين العوامل المنظمة الأخرى التي تشكل محط نظر صانعي القرارات " . راجع : Snyder , Op.Cit,. PP.80-81 .

السياسة الخارجية [59]. إن المسئولية الرئيسة لتقديم المقترحات السياسية هي من واجبات وزارة الخارجية، حيث أن لديها خبراء في المناطق الجغرافية، والذين يقومون بتزويدها بمعلومات منها. يميل الرؤساء الذين يتوجهون إلى السياسة الخارجية إلى الإعتماد بدرجة كبيرة على مستشاريهم للأمن القومي، وإعطائهم أهمية متميزة، لقربهم من الرئيس، بسبب اللقاءات اليومية المتكررة، ومساعدتهم في تشكيل وجهات النظر الرئاسية. من هذا المنطلق، نرى أن لمجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة مكانة خاصة عند الإدارة الأمريكية بكونه الساعد التنفيذي للرئيس في كيفية الإتصال مع العالم الخارجي[60]. يميل الرؤساء في الولايات المتحدة الذين لهم تطلعات داخلية، إلى منح وزراء الخارجية صلاحية التفويض بالسياسة الخارجية، ويعهد إليهم بحرية كيفية التصرف في عملية إعداد السياسة الخارجية، ولهذا السبب يصبح مستشار الأمن القومي مديرا للموظفين ومنسقا للسياسات، وبالنتيجة يكون الرئيس أكثر ميلا إلى الإستماع إلى نصائح وآراء وزير الخارجية وطاقم وزارته [61].

يقع الرئيس نيكسون ومستشار الأمن القومي هنري كيسنجر في الفئة الأولى، حيث برز مستشار الأمن القومي تحت القيادة الرئاسية المباشرة. لكن يقع الرئيس فورد، ووزير الخارجية كيسنجر في الفئة الثانية، حيث كانت وزارة الخارجية في المقدمة. وكان الرئيس كارتر في الفئة الأولى (على الرغم من خبرته الأولية المحدودة في السياسة الخارجية)، وبالتالي رفع شأن مستشار الأمن القومي، في حين أن الرئيس ريغان أظهر ميلا إلى تفويض القسم الكبير من صنع السياسة الخارجية إلى وزير الخارجية، بتعيين الجنرال الكسندر هيغ ثم جورج شولتز في ذلك المنصب [62]. ويتباين تأثير وزارة الخارجية وفقا لعلاقة وزير الخارجية مع صاحب القرار السياسي، كالحالة مع وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق " الكسندر هيغ " الذي أول من عينه الرئيس ريغان في الوظيفة المذكورة، ولكن محاولته للحصول على النفوذ قوبلت بالرفض من موظفي البيت الأبيض . والنزاع البيروقراطي الداخلي التي اتسمت بها علاقات " هيغ " مع مجلس الأمن القومي وموظفي البيت الأبيض كانت في الغالب هي القاعدة وليس الاستثناء. وأعاد تعيين جورج شولتز في منصب وزارة الخارجية النفوذ

(59) روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص 424 .

(60) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص14.

(61) المصدر نفسه ، ص 15 .

(62) المصدر نفسه ، ص 15 .

إلى وزارته، لأن شولتز وريغان تشاركا الإحترام المتبادل، ووجهات نظر سياسية متقاربة [63]. من الواضح، أن هاتين الفئتين ليستا دقيقتين، لكنهما تساعداننا بصورة عامة في التمييز بين أساليب عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المختلفة. لقد جاء جورج إتش دبليو بوش إلى الإدارة الأمريكية، وله خبرة كبيرة في العلاقات الدولية: رئيس البعثة الدبلومسية الأمريكية غير الرسمية في الصين الشعبية، وسفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ولمعرفته ما يريد أن يفعله ، أمام ذلك، اختار في وظيفة الأمن القومي شخصا يشاطره نظرته في الشؤون الخارجية [64]. فيما يخص الرئيس السابق بيل كلينتون، لم تكن له خبرة في السياسة الخارجية، حيث لم تكن له رؤية واضحة المعالم عن دور الولايات المتحدة في العالم الخارجي، بسبب التأكيد على برنامجه الداخلي، وكانت السياسة الخارجية بالنسبة إليه تحتل أهمية ثانوية في البداية. وكانت النتيجة، عدم إشغال مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية أي مكانة في السياسة الخارجية[65]. وبسبب تغير الظروف في ولاية كلينتون الثانية، بدأ الأخير يولي اهتمامه بالسياسة الخارجية، أكثر من ذي قبل. وبالتالي ملأ موقع السياسة الخارجية الرئيسان بشخصيتين أكثر فعالية ونشاطا على المستوى السياسي، فضلا عن انغماسه الكبير في المجال المذكور، ولم يسمح لأي منهما الهيمنة [66].

شهدت الولاية الثانية لكلينتون بعض التعديل، ففي ذلك الوقت أصبح الرئيس أكثر انهماكا في السياسة الخارجية، وأظهر فريقه للسياسة الخارجية مستوى أعلى من الفاعلية، فقد كان ساندي بيرغر، مستشار الأمن القومي في الولاية الثانية، سياسيا وصديقا لكلينتون منذ أيام الجامعة وبالتالي أكثر حزما. وكانت وزيرة الخارجية الجديدة، مادلين اولبرايت، أكثر التزاما بتوسيع حلف شمال الأطلسي،[67] وأدخلت أفكارا جيوسياسية أكثر وضوحا إلى مداولات مجلس الأمن القومي، مع

---

(63) روبرت د . كانتور ، مصدر سبق ذكره ، ص 424 .

(64) المصدر نفسه ، ص 15 – 16 . اختار الرئيس بوش الأب، برنت سكوكروفت في إدارته للمدة الواقعة بين 1989 – 1993 كمستشار له للأمن القومي . راجع : المصدر نفسه ، ص 21 .

(65) المصدر نفسه ، ص 16 .

(66) المصدر نفسه ، ص 16 .

(67) قادت وزيرة الخارجية الأمريكية، مادلين أولبرايت، حملة ضد صربيا في أواخر عام 1995، حيث قامت القوات الصربية بسياسة التطهير العرقي الموجهة ضد الغالبية الألبانية في كوسوفو. استغلت أولبرايت بفعالية الزخم السياسي الذي حققه توسيع حلف شمال الأطلسي لتشكيل ائتلاف

التركيز على أوربا [68]. أما الرئيس جورج دبليو بوش، كان ميالا في البداية إلى تفويض عملية صنع القرار إلى شخصية مرموقة، كاختياره كولن باول، وكأنه يتلاءم مع النموذج الأول، لكن ذلك لم يدم طويلا، بسبب حوادث 11 أيلول، في السنة الأولى من الولاية الأولى، حيث انتقلت السياسة الخارجية إلى البيت الأبيض، لا لتهيمن عليها مستشارة الأمن القومي[69]، وإنما نائب الرئيس ومجموعة من المسؤولين ذوي الدوافع العالية في البيت الأبيض ووزارة الدفاع. وقد وجدوا آذانا صاغية لدى الرئيس، وساعدوه في إعادة تعريفه بأنه القائد الأعلى " لأمة في حالة حرب " [70]. تواصل هذا

سياسي لصالح مواجهة صربيا بخيار الانسحاب من كوسوفو أو الطرد بالقوة، ومن خلال التنسيق القوي بين الولايات المتحدة وأوربا ، ألحقت حملة جوية متواصلة أضرارا كبيرة بالبنية التحتية الصربية بما في ذلك العاصمة، فيما احتشدت قوات حلف شمال الأطلسي العسكرية في ألبانيا واليونان استعدادا لحملة برية واسعة النطاق. راجع: المصدر نفس، ص 125. ومادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي، مصدر سبق ذكره ، ص 22 .

(68) المصدر نفسه ، ص 93 . كانت مداولات السياسة الخارجية في البيت الأبيض في عهد كلينتون أشبه " باجتماع لتناول القهوة وتبادل الحديث " من المفهوم المعتاد لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية على مستوى عال . وكانت تنطوي على اجتماعات طويلة دون جدول أعمال محدد ، ونادرا ما كانت تبدأ أو تنتهي تبعا للموعد، وتتسم بالمشاركة العفوية لمختلف المسؤولين في البيت الأبيض. كان بعض المشاركين معنيين بالشؤون الداخلية بالدرجة الأولى، ويحضرون مداولات مجلس الأمن القومي بناء لرغباتهم ، ويتدخلون في مداولات السياسة الخارجية متى شاءوا. وقد صعب ذلك الأمور على مستشار الأمن القومي إذ لم يكن واضحا دائما ما الإجراءات التي تحتاج لاحقا إلى تنفيذ وتنسيق بين الهيئات المختلفة . راجع : المصدر نفسه ، ص 95 . بالمقابل، عمل مجلس الاقتصاد القومي الذي أنشيء حديثا بطريقة أكثر انضباطا ومهنية، ربما لأن السياسة الخارجية ميدان يشعر أي كان تقريبا بأنه مخول التعبير عن رأيه فيه، في حين أن الاقتصاد والمالية مختصين أكثر بالعلماء. وكان من الواضح وجود مسئول مسيطر برتبة وزير، وتجلت أهمية ذلك عندما واجهت إدارة كلينتون الأزمتين الماليتين في المكسيك، وجنوب شرق آسيا . راجع : المصدر نفسه ، ص 94 – 95 .

(69) اختار الرئيس بوش الابن في إدارته الثانية ، ستيفن هادلي مستشارا له للأمن القومي وذلك في عام 2005. راجع : المصدر نفسه ، ص 21 .

(70) المصدر نفسه ، ص 16 – 17 . يقول في هذا المجال، جون نيكولز في كتابه عن " ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي " : " جورج دبليو بوش لا يقرأ الصحف ولا يشاهد كثيرا من الأخبار

النموذج في ولاية بوش الثانية، وعزز استبدال مستشارة الأمن القومي كوندليزا رايس في الولاية الأولى بوزير الخارجية الدور التكتيكي لوزارة الخارجية في هيكلية عملية صنع القرار الذي لا تزال تهيمن عليه مجموعة المسؤولين نفسها الذين استجابوا لأحداث 11 أيلول ببث الشعور بالمهمة التاريخية (شبه الدينية) في دور الرئيس[71]. وهذا يعني، أن الرئيس بوش الإبن اتبع أسلوبا من أعلى إلى أسفل في إدارة السياسة الخارجية وحصرها في دائرة ضيقة من صناع القرار الكبار المعروفين شخصيا ، حيث تولى بوش القيادة في اتخاذ القرارات، وشكل مستشار الأمن القومي الثانية الأنا الثانية[72].

من هنا يمكن القول، أن جورج بوش الأب كان الأكثر خبرة ومهارة في الدبلوماسية، لكن لم يكن يسترشد بأي رؤية واضحة في لحظة تاريخية غير تقليدية، وكان بيل كلينتون الأكثر براعة وتطلعا إلى المسقبل لكنه كان يفتقر إلى الإتساق التاريخي في استخدام القوة الأمريكية، أما بوش الابن، فإنه يتميز بعدم معرفته بالتعقيدات العالمية، ومزاجيته إلى الصيغ العقدية[73].

التلفزيونية . يقول أنه يعتمد على مساعديه في تزويده بالمعلومات التي يحتاج إليها " . راجع : جون نيكولز ، مصدر سبق ذكره ، ص 111 .

(71) المصدر نفسه ، ص 17 .

(72) المصدر نفسه ، ص 93 .

(73) المصدر نفسه ، ص 17 – 18 . انعكس تراجع أهمية الشؤون الدولية في اولويات كلينتون بشكل ظاهر بالفارق الكبير بين مذكرات بوش الأب ، ومذكرات كلينتون، فقد كرس كتاب مذكرات بوش الأب الذي يبلغ عدد صفحاته 566 صفحة (كتبه مع مستشاره للأمن القومي) للشؤون الخارجية حصرا، مع بعض التفاخر في منجزات المؤلفين ، بل أنه لم يأت على ذكر خدمة بوش في الحرب ، واختار كلينتون بدلا من ذلك كتابة رواية مطولة عن حياته ، أوجز فيها إدارته الشؤون الخارجية طوال ثماني سنوات بشكل سطحي لم يتجاوز 15 % من إجماليها . بل أن وزير خارجيته في ولايته الثانية ، وكانت أكثر نشاطا من سلفها ، خصصت قسما كبيرا من مذكراتها لأحداث شخصية ليس لها صلة مباشرة بستراتيجية السياسة الخارجية وتنفيذها . راجع : المصدر نفسه ، ص 92 – 93 .

الهوامش